Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عند هذا الحد يتهكم حسان بالحارث بن هشام ويصفه بالجبن والنكوص عن المعركة، بل والفرار منها وعجزه عن أن يذود عن حريمه وفى هذا كل العار والشنار وهو فى ديباجة قصيدته يقول إنه لا جانب فيه للغزل فهو رجل جد ورجل حرب ويعيبه أن يشغله شاغل من عشق أو غير عشق عن خوض الهيجاء مستبسلا مقداما، وهذا معنى جديد من معانى البطولة يدركه حسان ويبين كيف ينبغى للمقاتل أن يكون شديد البأس رابط الجأش لا يحجم ويصمد ما استطاع سيلا إلى الصمود.

وبذلك صور لنا البطل العربى المحارب فى صورته الصادقة الناطقة عن جميع صفاته:

وبنو أبيه ورهطه فى معرك ... نصر الإله به ذوى الإسلام
طحنتهم والله ينفذ أمره ... حرب يشب سعيرها بضرام
بالعار والذل المبين إذا رأى ... بيض السيوف تسوق كل همام
بيض إذا لاقت حديدا صممت ... كالبرق تحت ظلال كل غمام

فى هذه الطائفة من الأبيات يعبر حسان الحارث بن هشام بعجزه كل العجز أن يحمى حريمه ويعد ذلك من مقابحه ونقائصه. كما يتغنى فى نشوة المنتصر بغلبة المسلمين على المشركين فى معركة ضارية يحسن وصفها وهو يصف تلك الحرب التى اشتعل ضرامها بأمر الله، لأن المؤمنين يحاربون لنصرة دين الله وكان الله عونا وسندا لهم فأذهبوا ريح أعدائهم، وجميل منه أن يجعل السيوف تسوق أمامها كل همام لأن هذه هى المعركة فى حركتها، وما أجمل تشبيهه لها فى بريقها بالبرق فى الغمام.

فهذه صورة جميلة للمعركة وهو يتناول ذكرها ووصفها على نحو فيه تمييز وتفرد، والمعانى فيها آخذ بعضها برقاب بعض ووحدة القصيد واضحة فيها، إنه لا يجنح إلى الخيال إلا فى أقل القليل وهذا ما يدفع إلى القول بأن أحسن الشعر أصدقه فما قال حسان إلا حقا.

أما رد الحارث بن هشام على حسان فرد جد ضعيف، وهو اعتذار أوهى من بيت العنكبوت يقول فيه:

الله أعلم ما تركت قتالهم ... حتى حبوا مهرى بأشقر مزبد
وعرفت أنى إن أقاتل واحدا ... أقتل ولا ينكى عدوى مشهدى
فصددت عنهم والأحبة فيهم ... طمعا لهم بعقاب يوم مفسد